رأيتك تصل

رأيتك عندما وصلتَ. لقد جئتَ بنظرة تائهة... باحثًا. تاركًا أرضك خلفك، خضراء بأشجار الزيتون، وذهبية بسنابل القمح. فصل الربيع ذلك الذي لا يمكنك أن تنساه أبدًا. أرض أجدادك. -بيتك الأبيض بيوت أصدقائك وجيرانك البيضاء، في السهول، بجانب التلال المتموجة، بالقرب من الجبال، مثل الشموع البيضاء المعرضة للريح. تلك الرياح، ذلك النسيم الناعم الذي كان - يداعب وجهك عندما كنت تعود إلى -البيت. -لكن كنت دائما تعود -وأنت عرقان ومغبر. وربما جائع. تعمل عبدًا في أرض سلبوها منك. وأُجبرتَ على المغادرة. لم يكن هناك خبز. لم يكن هناك مستقبل، لا لك ولا لأطفالك. فقط البطالة. حدثوك عن أراضٍ أخرى. فبدأت رحلة طويلة بحثًا عن خبز آخر وأرض أخرى. تركتَ هناك قلبك رفقة زوجتك وأطفالك. لكنك لم تفقد الأمل وفكرت: "هل يمكنهم اللحاق بي يومًا ما؟ متي؟".

كان كل هذا ظاهرًا في نظرتك العميقة والبعيدة والمرتعدة عندما رأيتك تصل. ومعك أشخاص آخرين من نفس البلد، ربما من القرية الأخرى، أو من الوادي الآخر. وآخرون وآخرون الذين لا أنا ولا أنت بإمكاننا أن نتذكرهم. كم عدد قطع الأرض والروح بقيت هناك! صمت - الغروب الأحمر. المشهد الطبيعي الهادئ الذي ترعرعتَ فيه. النظرة القلقة والجافة والحلوة لزوجتك وأطفالك.

رأيتك. - رأيتكم -تصلون إلى هذه الأرض.

هل تتذكر؟ الضوضاء في المدينة. كم عدد الناس الذين يمرون بجانبك. لا ينظرون إلى بعضهم البعض. أنت وحيد. أردتَ إخفاء دمعة عابرة من الغضب والعجز. لكي لا يراها أطفالك. إنه المستقبل بالنسبة لهم...

لقد وجدت مكانًا للنوم. بنسيون في الشارع المنخفض والمظلم من المدينة. أو كوخ مشترك على منحدر مونتجويك. وبدأت رحلة البحث. عمل! عمل!... جئت من أجل ذلك. عليك أن ترسل الخبز إلى أطفالك قبل أن تضعه في فمك. لكن أين يوجد العمل؟ هل خدعوك؟ لديك يديك. إنهما كنزك الوحيد. من باب إلى باب، من ورشة إلى ورشة، من معمل إلى معمل. لقد مرت عليك أيامًا، ربما أسابيع. ذهبت فيها إلى المدينة ولم ينظر إليك أحد، كنت وحيدًا. أسوأ من نملة. يحتقرونك. يدوسون عليك. وأنت تبحث: إنه خبز أطفالك، إنها حياتك.

صدمة منظرك الطبيعي.

صدمة عملك.

صدمة قلبك.

صدمة نظرتك.

صدمة كلمتك التي لا يستمع إليها أحد.

فقط أنت ووحدتك. هناك بعيدا،تركت زوجتك وأطفالك - في -البيت الأبيض والفقير ولكنه مليء بالشمس.

وأخيرًا، تقف على السقالة. إنك عامل آخر في هذا النظام الرأسمالي الذي يتاجر بفقرك ووحدتك. لكن هناك شخص ما يُغَني بجانبك. هل تتذكره؟ إنه زميلك. رفيقك. لستَ لوحدك. إنه من بلدتك. ربما كانت ابتسامتك الأولى. تلك الابتسامة الخفيفة والممتنة التي تم كسرها مرارًا وتكرارًا بسبب - الضجيج الأجش للآلة، أو للرافعة أو لصفارات الإنذار. لكنك فكرت في زوجتك مرة أخرى، في أطفالك الذين سيأتون قريبًا. ابتسمَ قلبك...

لقد انتهى ذلك العمل. لم -يبق هناك عمل في تلك الورشة. كنت مجرد عامل مؤقت، مثل العمال الموسميين ببلدك -. لا يبق هناك عمل. فإلى ورشة أخرى. كم مرة غيرتَ العمل. وأخيرًا المصنع.

المدينة هي الآن بعيدة. خلف جدار الدخان، خلف مائة جدران من الأسمنت القذر والرمادي، خلف ألف مبنى بارد يحيط بك. أنت تعلم ونحن نعلم أن في المدينة هناك أضواء، الأضواء - العابثة والبعيدة عن ظلام حينا. هناك يتحدثون- ويضحكون- ويرقصون- وينسون الهموم- ويتجاهلون، لكنك تفكر: غدًا المصنع. وفي الظلام الرطب والبارد للصباح الباكر، ستدخل أخيرًا عتبة المصنع. شخص آخر. شخصين آخرين. مائة. ألف. جميعم رفاقك. إنهم نحن: نفس القصة.

إنها مرحلة أخرى في حياتك: الآلة وغبار الحديد والكبريت- ونفس الضوضاء. نفس الحركة مرارا وتكرارا. المعول، المجرفة. اليوم، غدا، بعد -غد، إلى متى؟

إضراب! ماذا يحدث؟ اليوم نحن في إضراب! إنه الآن إضرابك. لقد قالوا كفى! إنه إضرابنا. قلنا كفى! إنه إضراب أناسك، إضراب أجدادك. هل تتذكر؟ لقد أخبرك به والدك، جدك. نضال عمال المزارع الذين ماتوا من أجل أرضهم، أرض الجميع. لستَ لوحدك. تُوقف الآلات. تخرج إلى الشارع. إنها صرخة الكثيرين ممن يشكلون موكب الحرية. وصراخك يختلط بصدى صراخ مائة عام، وبخطى فلاحي منطقة لوخا وخيريز، وبشعارات النضال والاحتجاج –لعمال مزارع الزيتون في قرطبة وخايين...

أنت الآن تريد مدرسة لأطفالك، وتريدهم أن يعلموا من أين أتوا. تريد الحرية والكرامة. تريد أن تغني مع قيثارتك، وتسرد شِعرك، وتغني على أندلسك... وغناء أيضًا أغنية "الحصادين" "Els Segadors" مع المناضلين الآخرين القادمين من أرضك الأخرى. لكي لا يجرؤ أحد على أخذ ما هو لك ولأطفالك.

والآن نعم. في زاوية من مبناك الاسمنتي، في منزلك، وليس في -البيت الأبيض الصغير، تنتظرك زوجتك أخيرًا. هي أيضا تصرخ من أجل الحرية. - وبجانبها أطفالك ومستقبلك. لقد - كابدت. وسنواصل النضال. الى الابد.

رأيتك تصل... ربما - سأراك تعود، حاملًا صرخة الحرية على شفتيك وفي قلبك. على شفاه وفي قلوب أولادك. إنه أفضل ميراث تتركه لهم. ربما ستبقى - بهذه الأرض، مع كل إخوتك المناضلين الآخرين، مع رفاق أطفالك الجدد، مع أطفال أطفالك، الذين ولدوا هنا. عائلة أخرى. أرض أخرى. لكن النضال لا يزال كما هو. لم ينته بعد.

إنهم يريدون أن يسلبوا وظيفتك منك، تمامًا كما كان الحال قبل أن يأخذوا الأرض من أجدادك. خطر البطالة. أطفالك لا يجدون عملاً. لكن لديهم ميراث أب وأم كانا - مناضلين.

لا أنت ولا أنا سوف نستسلم. سوف نسير معا مرة أخرى. الى الابد.

خوان نيبوموسينو جارسيا نييتو

مارس 1979